برعاية الرئيس مسعود البارزاني
بە چاودێری وپاڵپشتی ڕێزدار سەرۆك مە سعوود بارزانی

معرض أربيل الدولي للكتاب 17
پێشانگای نێودەوڵەتی هەولێر بۆ کتێب

العالم يتكلم كوردي
جيهان بەکوردی دەدوێت

للإعلام والثقافة والفنون
Media Culture & Arts

9-19 نيسان 2025
• أربيل - بارك سامي عبد الرحمن •
هەولێر - پارك سامی عەبدولڕەحمان

ملحق يومي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون | العدد (7) السنة الثانية والعشرون- الثلاثاء(15)نيسان 2025 | http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

معرض أربيل للكتاب يستقطب المؤثرين: زيارات ومشاركة ثقافية وفنية فاعلة

■ أربيل/ علي زيتو

عدسة: محمود رؤوف

شهد معرض أربيل الدولي للكتاب في يومه السادس حراكًا ثقافيًا متزايدًا، تجلّى في توافد أعداد كبيرة من الزوار، من داخل إقليم كوردستان وخارجه، إضافة إلى زيارات جديدة من شخصيات أكاديمية وثقافية بارزة، في الوقت الذي واصلت فيه دور النشر الكوردية والعربية تنظيم فعالياتها وسط أجواء من التفاعل والحيوية.

حضور ثقافي بارز

زارت المعرض اليوم وفود من مدارس مختلفة وعدد من الشخصيات الأكاديمية، وتجولوا في أروقة المعرض مطّلعين على محتوى الأجنحة، لا سيما تلك التابعة لدور النشر الكوردية. كما لوحظ حضور مميز من جامعات كوردستان، حيث نظم عدد من الأساتذة والطلبة زيارات جماعية بهدف تشجيع القراءة والاطلاع.

د. ئارام عبدالله – أستاذ في جامعة صلاح الدين: "كل عام، يثبت معرض أربيل للكتاب أنه أكثر من مجرد تظاهرة ثقافية. هو منصة معرفية، ولقاء فكري مفتوح. ندفع طلابنا لزيارته لأنه يمثل نافذة على ما يُنشر ويُكتب في المنطقة».

تلاقي القرّاء والكتّاب

في جناح دار "تيشك" للنشر، كاروان (زائر): "لاحظنا أن الإقبال ليس فقط على الرواية والشعر، بل هناك اهتمام متزايد بالكتب العلمية والتعليمية، خصوصًا بين الشباب. وهذا يُشجعنا على الاستمرار في هذا المسار».

فيما قالت ليلى، زائرة: "أجواء هذا العام أكثر تفاعلاً. القرّاء يأتون بأسئلة محددة، ويبحثون عن كُتّاب بعينهم. هذا يدل على نضج القرّاء وتطور ذائقتهم».

شهد يوم امس كذلك ندوات حوارية بمشاركة عدد من الأكاديميين الكورد الشباب، الذين ناقشوا العديد من القضايا. وتفاعل الجمهور مع النقاشات، ما يعكس أهمية مثل هذه الحوارات في تطوير الحراك الثقافي في كوردستان.

المعرض أكثر من سوق كتب

يقول هوزان أحمد – طالب إعلام من جامعة كويه: "المعرض بالنسبة لي مصدر إلهام. هنا لا أشتري الكتب فقط، بل ألتقي بأفكار جديدة، وأشخاص يشاركونني الشغف بالقراءة».

أما شارا رسول – من أربيل فتقول: "كل زيارة لي للمعرض تحمل شيئًا جديدًا. هذه المرة، اشتريت كتبًا في الأدب النسوي الكوردي، وهو مجال بدأت أكتشفه مؤخرًا».

يواصل معرض أربيل الدولي للكتاب تأكيد مكانته كأكبر حدث ثقافي في كوردستان، جامعًا بين المعرفة، الحوار، واللقاء. ومع استمرار الفعاليات اليومية، تتعزز صورة المعرض كجسر بين القارئ والكاتب، وبين الكتاب والتحولات الثقافية الراهنة.

البنك المركزي العراقي | شبكة الاعلام العراقي | قناة كردستان ٢٤ | رودو | معهد غوته | تكسي أوبر | جامعة صلاح الدين | قناة شمس | منصة ٩٦٤+ | كوردستان فاونديشن
جمعية الناشرين والكتبيين العراقيين للدعاية والاعلان

إصدارات جديدة في مجال القانون والتاريخ تثير اهتمام الزوار في معرض أربيل

■ جنان السراي

عدسة: محمود رؤوف

في أروقة معرض أربيل الدولي للكتاب، حيث تختلط رائحة الورق بالحوار الثقافي القادم من مختلف أنحاء العراق، لم تكن الروايات فقط هي ما جذب الزوّار هذا العام، بل كانت هناك محطات أخرى توقّف عندها كثيرون، أبرزها أجنحة الإصدارات الجديدة في مجالي القانون والتاريخ، والتي حملت بين طيّاتها سرديات جديدة، ومراجعات دقيقة، وتأملات عميقة في الماضي والحاضر.

اللافت هذا العام لم يكن الكمّ فقط، بل الكيف. فقد برزت أعمال حديثة تبحث في تفاصيل دقيقة من الذاكرة العراقية، إلى جانب دراسات قانونية توضح واقع العدالة في البلاد، وسط اهتمام واضح من شريحة متنوّعة من الزوّار.

في جناح دار "نصوص" للنشر، التقى (ملحق المدى) بالناشر أياد حسن، الذي تحدّث عن الإقبال غير المتوقع على الكتب القانونية هذا العام، قائلاً: "ما كان مألوفاً أن نجد طلباً عالياً على مؤلفات القانون في معارض الكتب، لكن يبدو أن الجمهور بدأ يبحث عن أدوات فهم الواقع، وحقوقه، وحدود القانون، خصوصًا في بلد مثل العراق يعيش تحديات يومية على مستوى النظام القضائي".

وأشار حسن إلى أن بعض الكتب التي طُرحت حديثاً، مثل "القانون الجنائي بين النص والتطبيق" و"مفهوم الحق في الدستور العراقي"، شهدت تفاعلاً من أساتذة جامعات وطلاب قانون، وحتى قرّاء عاديين مهتمين بالشأن العام.

عرضت "دار جبال" مجموعة من الكتب التاريخية التي تنقّب في أحداث وحقب ظلّت خارج دائرة الضوء. آمنة، وهي بائعة في الدار، قالت لـ(ملحق المدى): "نحن لا نعيد طباعة كتب التاريخ التقليدية، بل نبحث عن مؤلفات جديدة تعيد قراءة الأحداث، وتطرح أسئلة أكثر مما تقدّم أجوبة جاهزة".

ومن بين الكتب التي عرضتها الدار، برز عنوان "تحولات الهوية في العراق الحديث"، الذي يرصد كيف تغيّرت الانتماءات الدينية والقومية على مدار القرن الماضي، وكتاب "أصوات النساء في التاريخ العراقي"، الذي استعرض تجارب نساء مؤثّرات تم تجاهلهن في السرد الرسمي. وتؤكد آمنة أن الإقبال على هذه العناوين يفتح شهية الناشرين لطرح المزيد من الأعمال التاريخية غير النمطية: "الناس تريد أن تفهم ما حصل، ولماذا وصلنا إلى هنا. التاريخ ليس للماضي فقط، بل لفهم الحاضر وبناء المستقبل".

أحمد توفيق، زائر من مدينة الموصل، كان يتنقّل بين رفوف الكتب التاريخية بعين الباحث، يقول: "أنا مهتم بفترة العهد العثماني وبدايات القرن العشرين، وأبحث عن مصادر مختلفة غير تلك التي درسناها في المدارس. وجدت كتباً توثّق شهادات ناس عاشوا الأحداث، وهذا النوع من التاريخ أقرب للناس وأكثر مصداقية". يرى أحمد أن القراءة في التاريخ تمنحه فهماً أعمق للتركيبة العراقية، ويقول: "أعتقد أن مشاكلنا المعاصرة جذورها في الماضي، وإذا ما فهمنا كيف كنّا ولماذا تغيّرنا، يمكن أن نصلح الكثير".

في حديث مع أستاذ التاريخ الحديث في جامعة بغداد، الدكتور زين العابدين خلال زيارته للمعرض شدّد على أهمية هذا النوع من الإصدارات في إثراء التعليم الجامعي، قائلاً: "نعاني في الجامعات من نقص في المصادر الحديثة، وأكثر ما بين أيدي الطلاب هو كتب قديمة أو مترجمة بشكل ركيك. هذه الإصدارات التي نراها اليوم في المعرض ضرورية لتعزيز البحث العلمي وربط الطلبة بالمستجدات".

ويضيف "كثير من هذه الكتب يقدّم قراءات نقدية لما كنا نعتبره مسلّمات، وهذا ينعش النقاش الأكاديمي ويفتح الأفق للطلاب لتبنّي مواقف فكرية مستقلة".

لا يمكن فصل القانون عن التاريخ في كثير من هذه الكتب؛ فكلاهما يعالج قضايا الهوية، الحق، السلطة، والمجتمع. وقد لاحظ (ملحق المدى) أن عدداً من العناوين، مثل "ذاكرة المحاكمات السياسية في العراق"، تجمع بين التأريخ والتحليل القانوني. يقول أحد الزوّار وهو يتصفّح كتابًا عن محاكمات 1963: "كأنك تقرأ رواية بوليسية، لكن كل شيء حقيقي وأنت طرف في هذا التاريخ حتى وإن لم تكن حاضرا فيه".

في معرض يعجّ بالروايات والكتب التنموية، أن تجد هذا الحضور الملفت للكتب الجادة في التاريخ والقانون، يعني أن هناك جمهوراً يريد ما هو أكثر من الترفيه. جمهور يبحث عن الأسس، عن الجذور، عن القوانين التي تُبنى بها الأوطان والحقائق التي لا يجب أن تُنسى.

وهذا ما يختصره راميل وهو أحد الزوّار في المعرض: "ما فائدة أن نقرأ ألف رواية، إن لم نقرأ كتاباً واحداً يخبرنا لماذا سقطت المدن، ومتى يمكن أن تنهض؟".

معرض أربيل في يومه الخامس، يذكّرنا أن الكتاب ليس فقط أداة للتسلية، بل هو مرآة للعدالة، ودفتر للذاكرة، ومنصة للنقاش. وأن ما بين دفّات القانون وسطور التاريخ، تكمن خرائط الطريق نحو فهم أعمق لذواتنا، كأفراد وكوطن.

"فواز طرابلسي والتجربة الترجمية" غواية لم تتحول إلى احتراف

■ أربيل / تبارك عبد المجيد

عدسة: محمود رؤوف

استضاف معرض أربيل الدولي للكتاب في دورته السابعة عشرة ندوة بعنوان "فواز طرابلسي والتجربة الترجمية"، شارك فيها الكاتب والمؤرخ اللبناني، الأستاذ الجامعي والصحافي المعروف، الدكتور فواز طرابلسي، وحاوره المترجم حسين عمر.

وفي تقديمه للضيف، وصف حسين عمر الطرابلسي بأنه "الشيوعي الوحيد (هنا إشارة الى عنوان كتاب للطرابلسي) الشاهد على ثورات بلا ثوار، والمصاب بأمل لا شفاء منه"، مؤكداً أن فواز طرابلسي كان دائماً في قلب التغيرات الكبرى التي شهدتها المنطقة العربية، وتأثر بشكل عميق بتطورات المشهد الدولي، مضيفاً: "هو الذي سار في الحياة عكس السير، والذي قال إن الديمقراطية ثورة".

يُعد فواز طرابلسي من أبرز المفكرين في العالم العربي، حيث ألف نحو 30 كتاباً، بعضها معروض للتوقيع في أروقة المعرض. وقد ترجم العديد من الأعمال الفكرية والأدبية المهمة، كما ترأس تحرير عدد من الصحف والمجلات، وشغل مناصب أكاديمية كأستاذ مساعد وزائر في جامعات داخل لبنان وخارجه. ومن بين أعماله البارزة، روايته الشهيرة "عشرة أعوام هزت العالم"، التي تحظى باهتمام نقدي وجماهيري واسع.

استهل الدكتور فواز طرابلسي حديثه في الندوة بإجابة على سؤال ميسر الجلسة حول رؤيته للترجمة، وما إذا كانت لا تزال "غواية وهواية" كما صرّح سابقًا، قائلاً: "نعم، لا تزال الترجمة غواية بالنسبة لي، رغم أنني مارستها لفترات طويلة كمهنة فرعية. هذه الغواية لم تفقد بريقها، بل تزداد مع الوقت، ولم تتحوّل إلى احتراف – وهذه ميزة، لأنها تبقي على الحماس والعلاقة الوجدانية بين المترجم والنصوص التي يعمل عليها".

وعن بداياته مع الترجمة، أشار الطرابلسي إلى أن تجربته انطلقت منذ أيام دراسته الثانوية، حيث بدأ بترجمة النصوص من العربية إلى الإنجليزية، مستذكرا أولى محاولاته التي تمثلت في ترجمة قصيدة "حزن في ضوء القمر"، ثم تبعتها قصيدة سياسية للشاعر نزار قباني، أرسلها إليه بعد اكمالها.

وأضاف أن دخوله عالم الترجمة بشكل أكثر احترافًا جاء في سياق سياسي، حيث قام بترجمة نصوص تتعلق بالماركسية والاشتراكية، إضافة إلى أدبيات حركات التحرر الوطني والاجتماعي.

أكد الدكتور فواز طرابلسي في سياق حديثه أن "المترجم هو مؤلف آخر"، مشددًا على أن علاقته بالترجمة ظلت قائمة على الشغف أكثر من كونها مسارًا مهنيًا صرفًا. وقال:

"أنا هاو، ولَست مترجماً محترفاً ولا أُطلق على نفسي صفَة المترجم لمجرد أنني ترجمت 16 كتابًا. الترجمة بالنسبة لي شغف، وليست احترافًا، وأعتز بعلاقتي القديمة بالشعب الكوردي وبما بيننا من تضامن متبادل".

وتطرق الطرابلسي إلى أزمة النشر في العالم العربي، معتبرا أن النشر يمر بأزمة حقيقية، وأضاف: "هناك أزمة نشر كبيرة في المنطقة العربية، ومن البديهي أن المبالغة في تصوير الأمور ليست صحية. ثمة من يقول إن العرب بدأوا يقرؤون على الكمبيوتر، وربما في ذلك بعض الحقيقة وهم يقرؤون ما هو مفيد".

وعن رؤيته لدور المترجم، قال: "المترجم ليس مجرد ناقل للمعنى، بل هو شخص يعيش اللغة ويدرسها باستمرار. كفاءته تتطور مع تعمّقه في اللغة. وإذا كان الهدف الوحيد هو إنتاج نص يُقرأ كما لو كان مكتوبا باللغة الأصلية، فذلك يتطلب احترافية حقيقية".

كما أشار إلى وجود كتب لا تصلح للترجمة، موضحًا أنه عرضت عليه أعمال فكر في ترجمتها، لكنه تراجع لأسباب لغوية، موضحا: "بعض الكتب تعتمد على بساطة مفرطة أو على تلاعب لغوي كثيف يجعل من نقلها إلى العربية غير مهم".

وفي سياق حديثه عن واقع الترجمة في العالم العربي، عبر طرابلسي عن أسفه لغياب فئة واسعة من المترجمين المحترفين، قائلاً: "من المؤسف أننا لم ننجح في إنتاج عالم من المترجمين المحترفين، أو فئة واضحة من ذوي الاختصاص في هذا المجال".

وأضاف أن معظم المترجمين في العالم العربي لا يعتاشون من الترجمة، بل يمارسونها كعمل ثانوي إلى جانب وظائفهم الأساسية، موضحا أن: "قسما كبيرا من المترجمين يمارسون الترجمة كهواية أو عمل جانبي، ولا يتقاضون أجورا تُمكّنهم من الاعتماد عليها كمصدر رزق رئيسي. وهذا ينعكس سلبا على جودة الترجمة وعلى تطورها كمهنة قائمة بذاتها".

هل تساهم الثقافة في تحريك عجلة الاقتصاد؟! سألنا الزوّار وكانت الإجابة..

■ أربيل / نور عبدالقادر

من قلب معرض أربيل الدولي للكتاب، وبين رفوف ممتلئة بالعناوين الجديدة والكلاسيكيات الخالدة، تنبعث رائحة الورق والحبر، وتنبض الحياة الثقافية بأسئلتها القديمة المتجددة. أحد أبرزها: هل تساهم الثقافة فعلًا في تحريك عجلة الاقتصاد؟

في جولة بين الأجنحة، التقينا زوّارًا وناشرين، وبائعين وكتّابًا، وسألناهم عن رأيهم. كانت الإجابات متنوعة، لكنها تتقاطع عند نقطة واحدة: للثقافة أثر اقتصادي لا يمكن تجاهله".

تقول سهى عبد الله، طالبة جامعية جاءت من السليمانية خصيصًا لحضور المعرض: "أنا حضرت لأشتري كتب، لكن في الحقيقة صرفت أكثر، ما اقتصرت على الكتب فقط. اشتريت من المعرض، كذلك من كافتيريا قريبة، ومن محل الهدايا التراثية خارج المعرض. يعني، الثقافة ليست كتابا فقط، هي منظومة كاملة تحرّك اقتصاد المدينة".

توافقها الرأي سارة حسن، زائرة من الموصل، وتضيف: "أنا اشتري كتبا غالبًا من المعارض، لان هناك خصم، احضر المعرض كل سنة. الزوار يحبون ان يشتروا أشياء تذكارية مرتبطة بالثقافة، وأيضاً هدايا للأصدقاء والأهل. بصراحة، المعرض هو أكبر موسم دخل لي في السنة!".

من جهته، يرى محمد، صاحب دار نشر عراقية، أن المعارض الثقافية هي "محركات اقتصادية حقيقية"، ويوضح: "نبيع هنا مئات النسخ من كل عنوان. لكن الأهم هو العقود التي نعقدها مع مكتبات وموزعين من مختلف المحافظات. الثقافة تفتح سوقا، وتخلق فرص".

وبحسب رأيه، فإن المعرض لا يقتصر تأثيره على المشاركين المباشرين فقط، بل يمتد إلى قطاع واسع من الخدمات، كالفنادق والمطاعم ووسائل النقل.

أما الباحث في الاقتصاد الثقافي، الدكتور وليد، فيضع المسألة في إطار أوسع، قائلاً: "الثقافة ليست ترفًا، بل استثمار طويل الأمد. الدول التي تدعم صناعة الكتاب والموسيقى والفنون، تحصد نتائج اقتصادية مباشرة وغير مباشرة، مثل خلق فرص عمل، جذب السياحة، وتحفيز الصناعات الإبداعية".

ويؤكد أن "معارض الكتاب، مثل معرض أربيل، تلعب دورًا ستراتيجيًا في تنشيط الدورة الاقتصادية للمدينة، وتعزيز صورة البلد خارجيًا".

سألنا الدكتور وليد سؤالا.. كيف نستثمر الثقافة اقتصاديًا؟، ليس فقط عن الأثر، بل عن الآلية.

اجاب "ندعم الصناعات الثقافية والإبداعية، كالنشر، السينما، والموسيقى، من خلال تسهيلات ضريبية وتمويل حكومي. وندمج الثقافة في السياحة، عبر تنظيم جولات أدبية، مهرجانات، ومعارض فنية. وتشجيع الشراكات بين القطاع الثقافي والخاص، لخلق مشاريع مستدامة توظف الشباب وتنتج محتوى محلياً. إضافة إلى رقمنة المحتوى الثقافي، لفتح أسواق جديدة على الإنترنت وتمكين صانعي المحتوى من الوصول العالمي. واخيرًا إنشاء مراكز ثقافية محلية، تخلق حركة دائمة من الزوار وتنعش الاقتصاد المحلي.

في أروقة المعرض، سمعنا لغات ولهجات مختلفة، من كوردية وعربية إلى إنجليزية وتركية. ويمثل هذا التنوع الثقافي نقطة قوة اقتصادية، بحسب الزائر اللبناني نبيل رزق، الذي يعمل في مجال الترجمة. يقول: "حضرت المعرض لأبحث عن شراكات. الترجمة من العربية إلى الكوردية والعكس مطلوبة جدًا، وفيها سوق واعدة".

من زيارات المدارس المنظمة، إلى حضور الندوات الثقافية، مرورًا بالمقاهي القريبة التي امتلأت بروّاد يقرؤون كتبهم الجديدة على فنجان قهوة، يتضح أن الثقافة ليست مجرد نشاط فكري، بل قوة اقتصادية ناعمة، تُنعش مدنًا، وتُخلق فرصًا، وتفتح نوافذ على العالم.

وفي نهاية الجولة، اتضح أن السؤال لم يعد بحاجة إلى علامة استفهام، بل إلى نقطة تؤكد الحقيقة: نعم، الثقافة تساهم في تحريك عجلة الاقتصاد وأكثر.

انطباعات الجمهور والمشاركين في اليوم السادس من المعرض

■ أربيل / نور عبدالقادر

عدسة: محمود رؤوف

في اليوم السادس من فعاليات معرض الكتاب الدولي، بدت اربيل وكأنها تحتضن العالم بين دفّتي كتاب. الزحام لم يكن فقط بشريًا، بل كان فكريًا وثقافيًا وإنسانيًا، إذ اجتمعت تحت سقف واحد أصوات متعددة، من مختلف اللغات واللهجات، لتقول شيئًا واحدًا: "الكتاب لا يزال حيًا".

مع ساعات الصباح الأولى، بدأت الوفود بالتوافد إلى أرض المعرض من مختلف المحافظات العراقية، ومن دول عربية وأجنبية كذلك. تنوع الزوار يعكس عمق الأثر الذي يُحدثه هذا الحدث الثقافي في نفوس الناس، فالبعض جاء باحثًا عن عناوين نادرة، والبعض الآخر جاء فقط ليستعيد إحساسًا قديمًا بالرائحة الورقية، أو ليمشي وسط رفوف الحروف وكأنها غابة من المعاني.

الزحام كان لافتًا، خاصة عند الأجنحة التي تمثل دور نشر شهيرة أو مؤلفين معروفين، ومع ذلك، لم يكن الاهتمام محصورًا بالرواية أو الأدب فقط، بل تعداه إلى الكتب الفكرية، والتاريخية، والدينية، والتنموية، وكتب الأطفال التي شهدت حضورًا لافتًا من العائلات.

يقول علي، وهو موظف حكومي جاء من محافظة الأنبار: "المعرض حدث سنوي أنتظره بفارغ الصبر. الكتب هنا ليست فقط مصدرًا للمعرفة، بل مساحة للراحة، للهروب المؤقت من ضغوط الحياة".

وأضاف: "لاحظت هذا العام حضورًا أكبر، وتنظيمًا أفضل، وأتمنى أن يستمر هذا الزخم في السنوات القادمة".

ما يميز هذا العام هو الحضور الواسع لدور النشر الأجنبية والعربية، من لبنان ومصر وسوريا والإمارات والاردن وفلسطين، وحتى من إيران والسعودية. هذه المشاركة فتحت المجال أمام القارئ العراقي ليطّلع على إصدارات جديدة قد لا تتوفر محليًا، ولتعزيز روح الانفتاح على تجارب فكرية مختلفة.

تقول "صوفي"، ممثلة دار نشر مشاركة لأول مرة: "أدهشني حجم الحضور، ودهشتي كانت أكبر حين لاحظت إقبال الزوار على الكتب المترجمة. العراق بلد يحب الثقافة بحق".

خلال جولة في المعرض، كان لافتًا تفاعل الزائرين مع فعاليات توقيع الكتب، والندوات الحوارية التي تستضيف كُتابًا محليين وعربًا. وتقول رشا حسين، طالبة جامعية: "حضرت اليوم ندوة عن الشمول المالي، وكان النقاش عميقًا ومفيدًا. المعرض ليس فقط لشراء الكتب، بل هو منصة فكرية مهمة".

أما أحمد سامي، وهو والد لطفلين، فقال: "أصطحب أولادي كل عام لهذا المعرض. أريد أن يعتادوا على الكتاب منذ الصغر. هناك جناح خاص بكتب الأطفال، وجناح مخصص للألعاب والقراءة، وهذا أمر رائع".

دور النشر المشاركة عبرت عن رضاها، ليس فقط عن حجم الإقبال، بل عن نوعية الأسئلة والملاحظات التي يطرحها الزائرون. يقول أحد الناشرين من بيروت: "جمهور العراق قارئ بامتياز، يسأل عن المؤلف، عن الترجمة، عن الطبعة. ليسوا مجرد مشترين عشوائيين، بل قرّاء حقيقيين".

يبقى الإحساس العام أن الكتاب لم يفقد مكانته، بل ربما عاد بقوة في زمن تتسارع فيه التكنولوجيا وتتناقص فيه المساحات الحميمة. معرض الكتاب الدولي لهذا العام ليس مجرد حدث ثقافي، بل هو استعادة لصوت العقل، وفرصة للقاء لا يتكرر كثيرًا بين القارئ والكاتب، بين الإنسان والمعنى.

دور النشر الكوردية تواكب التحوّل التكنولوجي عبر كتب علمية متنوعة

■ أربيل / علي زيتو

عدسة: محمود رؤوف

لم تَعُد مشاركة دور النشر الكوردية في معرض أربيل الدولي للكتاب محصورة في تقديم الروايات، الشعر، والكتب التاريخية فحسب، بل باتت هذه الدور تخطو خطوات واضحة نحو مواكبة التطور التكنولوجي والمعرفي، من خلال طرح كتب علمية مترجمة أو مؤلفة باللغة الكوردية تغطي مجالات متعددة، منها الذكاء الاصطناعي، الطب، الفيزياء، البيئة، التنمية البشرية، وعلوم التربية. هذه النقلة النوعية جاءت استجابة لحاجات قرّاء جدد – خاصة فئة الشباب والطلبة – ممن يبحثون عن محتوى علمي بلغة مفهومة ومبسطة، تتماشى مع متغيرات العصر وتعزز الثقافة العلمية داخل المجتمع الكوردي.

تحوّل في المشهد الثقافي الكوردي

في الدورة السابعة عشرة لمعرض أربيل الدولي للكتاب، برزت هذه الظاهرة بشكل لافت، حيث عرضت العديد من دور النشر الكوردية كتبًا تعنى بالعلم والتكنولوجيا، بعضها مترجم من لغات عالمية، وأخرى من تأليف باحثين محليين متخصصين في مجالاتهم.

دور النشر ومواكبة رغبة القراء

كاروان من دار مانَك يقول: "نحن نشهد تحولًا في ذائقة القارئ الكوردي، خصوصًا لدى الفئة الشابة. هناك طلب متزايد على كتب الذكاء الاصطناعي، علم النفس، والتقنيات الحديثة. لذلك ركّزنا هذا العام على إصدار وترجمة كتب علمية، مع الحرص على تبسيط المفاهيم بلغة واضحة وبأسلوب جذاب". وأضاف: "نحاول ألا يكون الكتاب العلمي معقدًا أو نخبويا. هدفنا أن يصل العلم إلى أكبر شريحة ممكنة، وهذا جزء من مسؤوليتنا الثقافية". أما ليلان من دار رەهەند فتقول: "خصصنا زاوية في جناحنا هذا العام لسلسلة (زانست بۆ هەموان) – أي 'العلم للجميع'، وتضم كتبًا عن علوم الفلك، المناخ، التكنولوجيا الطبية، وكلها مترجمة ومرفقة برسوم توضيحية. الإقبال عليها فاجأنا، وخصوصًا من الطلبة والمعلمين". وتابعت: "نعتقد أن النشر العلمي بالكوردية يعزز الثقة باللغة ويجعلها لغة معرفة، لا مجرد أداة للأدب أو الخطاب السياسي". ويقول محمد من دار ناريـن: "نشرنا هذا العام كتابًا مبسطًا عن الذكاء الاصطناعي باللغة الكوردية، والإقبال كان جيدًا، وخصوصًا من طلاب الحاسوب والمهتمين بالتقنيات الرقمية".

وأشار محمد إلى أن بعض الكتب يتم إعدادها بالتعاون مع أساتذة جامعيين، لضمان الدقة العلمية وتقديم محتوى رصين بلغة سلسة.

اهتمام جماهيري لافت

الزائر لجناح أي دار نشر كوردية في المعرض يمكنه أن يلحظ ازدياد الاهتمام بالكتب العلمية. ويؤكد العديد من الزوار أن هذه الكتب لم تكن متوفرة بالكوردية بهذه الكثافة في دورات سابقة، ما يدل على وعي جديد بدأ يتبلور بين الناشرين والجمهور.

د. محمود أستاذ جامعي يقول: "تفاجأت بوجود كتب كوردية عن الجينات والفيزياء الحديثة. كنت أضطر سابقا لشرح هذه المفاهيم لطلابي بالعربية أو الإنكليزية. الآن أستطيع أن أوصيهم بكتب بلغتهم الأم، وهذا تقدم كبير".

وتقول آمنة طالبة في قسم الإعلام: "اشتريت كتابًا عن الذكاء الاصطناعي وآخر عن التواصل العلمي. لم أكن أظن أنني سأجد كتبًا بهذا المستوى بلغتنا. هذا شيء يدعو للفخر".

نحو ثقافة علمية باللغة الكوردية

إن ما تشهده دور النشر الكوردية من تطوّر في المحتوى يعكس سعيًا واضحًا لبناء مجتمع قارئ ومتعلم، لا يعتمد على الترجمة الفورية أو المصادر الأجنبية فقط، بل يطوّر أدواته المعرفية بلغته الخاصة.

ويرى مراقبون أن هذه المرحلة تمهّد لنهضة ثقافية قد تكون مختلفة عن سابقاتها، لأنها تعتمد على إنتاج المعرفة، لا استهلاكها فقط. يؤكد معرض أربيل الدولي للكتاب هذا العام أن الأدب لم يعُد وحده حاضرًا في الواجهة، بل بات العلم أيضا يجد موطئ قدم له بين الرفوف الكوردية. ومع إصرار دور النشر الكوردية على الاستمرار في هذا الاتجاه، يمكن القول إن التحوّل نحو مجتمع معرفي بات مسألة وقت، وإن اللغة الكوردية تتجه لتكون وعاءً حقيقيًا للعلوم الحديثة، كما هي للشعر والتاريخ.

معرض أربيل يتحوّل إلى منبر للكُتّاب الكورد: منصة للهوية الثقافية وصوت الشباب الأدبي

■ أربيل / علي زيتو

عدسة: محمود رؤوف

في دورته السابعة عشرة، لا يبدو معرض أربيل الدولي للكتاب مجرد فعالية ثقافية سنوية فحسب، بل بات يمثّل فضاءً استثنائيًا تتقاطع فيه هويات الأدب، وتعلو فيه أصوات الكُتّاب الكُرد بشكل غير مسبوق. هذا التحوّل اللافت، الذي بات ملموسًا على مستوى الحضور والإصدارات والنقاشات الثقافية، أعاد صياغة المعرض كمنبر فعلي يحتفي بالأدب الكوردي المعاصر ويعطي فرصة نادرة للكُتّاب الكُورد الشباب لإثبات حضورهم.

تنوّع في الطروحات

المعروضات الكوردية هذا العام لم تقتصر على الرواية والشعر، بل شملت مجالات متنوعة مثل النقد الأدبي، التاريخ الكوردي، الفكر القومي، والهوية الثقافية. دور النشر الكوردية حرصت على تقديم أسماء جديدة إلى جانب أعلام بارزين، ما أضفى على المعرض طابعًا ديناميكيًا يعكس واقع الأدب الكوردي المتجدّد.

جهود لترسيخ الأدب المحلي

في جولة بين أجنحة المعرض، التقى فريقنا بعدد من ممثلي دور النشر الكوردية، الذين أكدوا أن هذا العام حمل زخمًا غير مسبوق في الإقبال على المؤلفات الكوردية:

آرام من دار لاله زار يقول: "نشارك بعدد كبير من العناوين هذا العام، معظمها لكُتّاب كورد. لاحظنا أن القرّاء يبحثون عن الكتب التي تتناول القضايا الراهنة مثل الهوية والتاريخ السياسي والثقافي. المعرض أصبح فرصة سنوية لتوسيع نطاق القرّاء باللغة الكوردية".

وتقول بهار من دار رينوين: "نعمل على إبراز الكُتّاب الشباب. هذا العام خصصنا زاوية لأعمالهم، وقد فوجئنا بالإقبال على توقيعاتهم وندواتهم. الجيل الجديد يكتب بلغة ووعي مختلفين، وهذا مؤشر إيجابي لمسار الأدب الكوردي".

وأما سامان من دار بختياري فيقول: "ندعم الكُتّاب الجدد ونسعى إلى تسهيل النشر لهم. نشرنا هذا العام مجموعات قصصية وشعرية جديدة لمؤلفين دون الثلاثين من العمر، وتم بيع نسخ كثيرة منها خلال الأيام الأولى للمعرض".

أصوات كوردية شابة

لم يقتصر حضور الكُتّاب الكُورد الشباب على نشر أعمالهم، بل شارك العديد منهم في ندوات ولقاءات حوارية أثارت اهتمام الجمهور.

وتقول الكاتبة الشابة ژيان

"نشرتُ أول رواية لي هذا العام عن دار محلية، وكانت مشاركتي في المعرض بمثابة ولادة جديدة لي ككاتبة. القرّاء فاجأوني بإقبالهم وحديثهم عن الرواية، وهذا يدفعني للاستمرار رغم الصعوبات".

ويقول هلبست (شاعر شاب) من السليمانية: "أكتب الشعر الحر باللغة الكوردية باللهجة السورانية. مشاركتي ضمن المعرض كانت أول تجربة لي أمام جمهور واسع. إنها لحظة فارقة لأي شاب يحاول أن يعبر عن نفسه بلغته الأم خاصة مع الاهتمام الكبير الذي نجده من قبل زوار المعرض".

جمهور يتفاعل ويدعم

اللافت هذا العام أيضًا هو الحضور الكثيف لجمهور من مختلف الأعمار والشرائح، مع تزايد إقبال الشباب على اقتناء الكتب الكوردية. الكثير من الزوار أعربوا عن سعادتهم بتنوّع الكتب الكوردية المطروحة وسهولة الوصول إلى المؤلفين مباشرة، سواء في حفلات التوقيع أو عبر جلسات النقاش.

الهوية الكوردية في قلب المشهد الثقافي

يشير الكثير من الزوار إلى أن الحضور المتصاعد للأدب الكوردي في المعرض يعكس حالة من النضوج الثقافي لدى المجتمع الكوردي، ويُعزّز الإحساس بالهوية واللغة في زمن العولمة. كما ساهم دعم المؤسسات الثقافية المحلية، وتعاون الجامعات والمراكز الأدبية، في إتاحة مساحة أوسع للكُتّاب الكُورد، خاصة الشباب منهم، لعرض إبداعاتهم بحرية.

وفي خلاصة المشهد يمكن القول إن معرض أربيل الدولي للكتاب تحوّل إلى منبر حقيقي للأدب الكوردي، حيث يلتقي الكُتّاب والقرّاء في مساحة واحدة تُكرّس للغة، والهوية، والإبداع. ومع تنامي دور النشر المحلية وتزايد حضور الأصوات الشابة، يبدو أن الأدب الكوردي يسير بخطى واثقة نحو ترسيخ مكانته في الساحة الثقافية المحلية والإقليمية.

توقيع وحديث عن كتاب برعوشا - بيروسس حامل الفكر البابلي إلى العالم

■ أربيل / زين يوسف

عدسة: محمود رؤوف

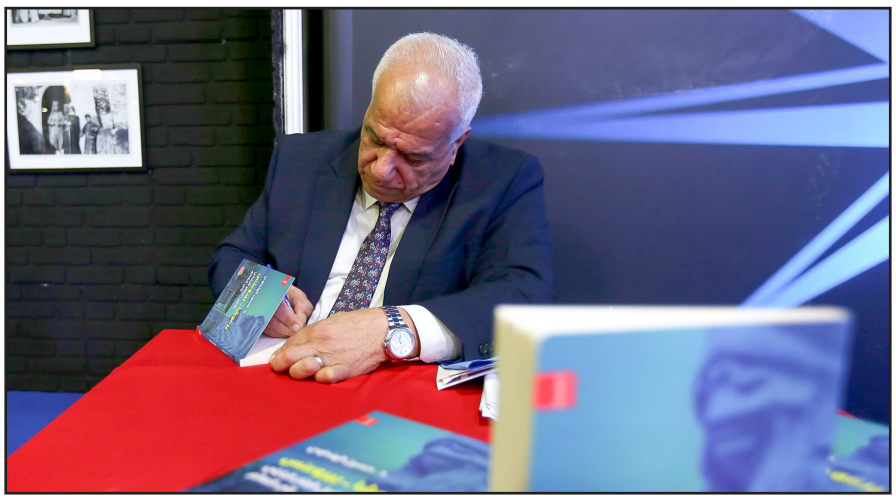

بحضور جماهيري كبير احتضنت قاعة الندوات جلسة حوارية مع الدكتور حسين الهنداوي تحت عنوان «توقيع وحديث عن كتاب «برعوشا – بيروسس، حامل الفكر البابلي الى العالم»، حاوره فيها د. عثمان ياسين.

استهل الهنداوي حديثه قائلا «خلال دراستي في فرنسا اثناء اعدادي لدراسة الدكتوراه كنت اصطدم ببعض الأسماء التي تأتي عرضا وبعض هذه الأسماء تحمل القابا كأنها قريبة لنا وعلى سبيل المثال هناك «ديوجين الكلداني» وعندما نبحث في هذه الشخصية نكتشف اننا امام مفكر عبقري عاش في بلاد الاغريق في أثينا تحديدا وكان رئيسا للمدرسة الرواقية في أثينا».

وأضاف ان «هناك من أربيل مفكر لاهوتي مسيحي ومن أكبر المفكرين في العالم وهو تاتيانوس الاشوري» وقد دفن في أربيل واعتقد ان الكثير من اهل أربيل لم يسمعوا عن هذا الشخص بالرغم من انه من كبار المفكرين في الفكر المسيحي ويوازي القديس «اوغسطين»، وأيضا عن طريق الصدفة عثرت على اسم اخر وهو «بيروسا الكلداني» او بيروسا البابلي ومع مرور الوقت اكتشفت اني امام مؤرخ ومفكر وعالم فلكي كبير وهو مولود في بابل ولكنه للأسف مجهول في العراق ومن النادر ان نجد شيئا عن هذا المفكر في الكتابات العربية».

ويكمل الهنداوي حديثه حيث قال «اثناء الدراسة والكتابة وجدت نفسي امام شخصية مهمة جدا وهو المفكر «بيروسوس» باللاتينية وقد ترجم بالعربي الى اسم «برعوشا» واصل التسمية برعاية بعل، وبعل معناه يرعاه، وهذا المفكر عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ولدى برعوشا كتاب مطبوع في سنة 270 قبل الميلاد وهو كتاب بحجم الف صفحة وهو مكون من ثلاثة مجلدات ومكتوب باللغة الاغريقية وموجه للفكر الاغريقي ونحن نتحدث فترة 270 قبل الميلاد وهي فترة احتلال الاسكندر المقدوني لمصر والعراق وكانت هناك دولة اغريقية في العراق وعاصمتها سلوقيا».

وأشار ان «منطقة سلمان باك شمال بغداد كانت هي عاصمة الحضارة لمدة قرن من الزمن وكان يحكمها الاغريق وهذه العاصمة السياسية عملت على جمع كافة السياسيين من مناطق مختلف من العراق القديم البابليين والاشوريين واعطتهم المجال للكتابة لذلك معظم كتاباتهم كانت باللغة الاغريقية وهذا يعني انهم استفادوا من المناهج الاغريقية في كتابة التاريخ وهي مناهج تعتمد على التحليل والبحث الموجز والمصطلحات المستمدة من الفلسفة».

وعن كون برعوشا مؤسسا لعلم التاريخ المقارن قال الهنداوي انه «في هذا الكتاب هناك جانبان أساسيان فلدى برعوشا عدة قضايا، أولا هو عالم فلك من الطراز الأول ويمتلك نظرية خاصة بالعلاقة بين الشمس والقمر وهذه النظرية هي الأساس في تقسيم الأزمنة والتقويمات وقضية الأشهر والاسابيع والساعات وهذه النظريات قديمة لدى البابليين لكنها لخصت وقدمت من قبل برعوشا، لذلك معظم الأفكار التي ينقلها هذا المفكر هي ليست بالضرورة أفكاره الشخصية بل هو كان ينقل الحضارة الى الخارج لذلك عنوان الكتاب كان «حامل الفكر البابلي الى العالم»، وبالفعل هو كان الأساس في هذا المجال ونظرياته الفلكية لغاية الان يشار لها في الكتب الغربية بأنه احد المؤسسين في توزيع الأزمنة والتقويمات التي تستعمل لغاية الان».

«اللغة والوعي الجمعي.. بين السيادة الثقافية والتأثير السلبي» حوار في معرض أربيل الدولي للكتاب!

■ أربيل / تبارك عبد المجيد

عدسة: محمود رؤوف

ناقش مسرح الندوات في معرض أربيل الدولي للكتاب في نسخته السابعة عشر موضوع «العقل الجمعي» خلال جلسة حملت عنوان «اللغة والوعي الجمعي.. بين السيادة الثقافية والتأثير السلبي». أدار الجلسة أ. منذر عبد الحر، في حوار غني شهد حضور ضيفين بارزين؛ د. خالدة خليل، الكاتبة في مجال الأدب والقصة والرواية والتي لها نشاط سياسي ملحوظ، ود. محمد إحسان، الأكاديمي والسياسي والحقوقي.

قالت د. خالدة خليل: «موضوع اللغة من المواضيع الشائكة والمقدّرة جدًا، وهو حيوي ويُطرح في كل زمان ومكان. فالصراع السياسي اليوم كبير جدًا، ولغة الصراع تعتمد بشكل أساسي على المصطلحات».

وأضافت: «اللغة تطورت بشكل كبير؛ كانت في البداية مجرد أدوات للتوصيل من رموز وحروف، ثم أصبحت لها وظائف عدة تسهم في نقل الأفكار. وبالتالي، فإنها تؤثر بشكل عميق على الوعي الفردي للإنسان، وعلى نظرته لنفسه وللعالم من حوله».

وأشارت خليل إلى أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل إنها تشكل الوعي الجمعي لشعبٍ معين أو منطقة محددة، ما يجعلها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقل الجمعي. وأضافت: «اللغة تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل الهوية الثقافية والسياسية، وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير الذي نراه في الدراسات اللغوية على صعيدي الشرق والغرب».

وتابعت: «من خلال اللغة، تتطور المجتمعات وتتنوع المصطلحات التي تُستخدم في مختلف المجالات، بما في ذلك الصراعات السياسية. هذه المصطلحات تلعب دورًا كبيرًا في تفسير الإعلام وكيفية إدارة الصراع بين الأطراف المختلفة». وأشارت الى ما نمر به الان هو «حرب اللغة»، واستذكرت امثلة للتوضيح كيف تفسر الكلمات بشكل مختلف بين جهات متعددة الأطراف.

من جانبه، قال أ. د. محمد إحسان: «المصطلحات التي نستخدمها تعتمد بشكل كبير على النظرة السياسية، فالوعي الجمعي هو نتاج البيئة المحيطة بنا. هذا الوعي يتشكل من قيم ثابتة وأخرى متغيرة، واللغة هي إحدى الوسائل الأساسية للتواصل».

وأشار إحسان إلى أن هناك مجتمعات متطورة حيث يأخذ الوعي الجمعي دورًا كبيرًا في توجيه الأفراد نحو اتخاذ القرارات أو اتخاذ مواقف معينة دون تدخل مباشر من السلطة أو الأحزاب السياسية.

وأضاف: «عندما يكون الوعي الجمعي متخلفا، فإنه يقود إلى أسلوب القطيع، حيث يمكن لأي شخص أن يوجهك إذا كان هو من يملك السيطرة على هذا الوعي». واستكمل قائلاً: «بالنسبة لي، نحن في حالة من الوعي الجمعي المتخلف».

كما أشار إلى بعض المصطلحات التي كانت تُستخدم في العراق والعالم العربي والتي اندثرت في العالم اليوم، مثل «الغزو الثقافي» و«النزعة الوطنية».

وقال: «المفاهيم تتغير، ويجب أن نكون مستعدين لما هو قادم. هذه هي مشكلتنا؛ أننا لا نكون دائمًا جاهزين، ونحن كأكراد بطيئون جدًا في استيعاب التغيرات».

وأشار د. محمد إحسان إلى أنه «إذا أصبحت كوردستان دولة مستقلة، فإن اللغة الكوردية ستندثر، وسيتحدث 99 في المئة من سكانها باللغة الإنجليزية». وعلل ذلك بقوله: «الفكر القومي هو رد فعل دائم، فعندما يستخدم النظام القوة والتعريب، يزداد تمسك الشعوب بلغتها وهويتها». وأضاف إحسان أن «نحن أمام عالم متغير، والقيم التي تتغير في العقل الجمعي كبيرة جدًا، ولا أحد يستطيع التحكم فيها».

وتابع قائلاً: «يجب أن نتوقع أسوأ السيناريوهات، ولكن يجب أن نعمل من أجل تحقيق الأفضل في المستقبل».

هل يُقصى الفكر المختلف من معارض الكتب؟

■ أربيل / نور عبدالقادر

عدسة: محمود رؤوف

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم، أصبحت المعارض الثقافية محطة مهمة للتواصل بين الشعوب والأفكار. يرى كثيرون أن هذه المعارض ليست مجرد منصات لعرض الكتب، بل فضاء لتلاقح الثقافات وتبادل وجهات النظر، بعيدًا عن أي إقصاء أو تهميش.

في حديث مع (ملحق المدى)، أوضحت رقية كنعان، من الأردن، أن المعارض الثقافية تمثل فرصة ذهبية لطرح جميع الأفكار ومناقشتها، معتبرة أن محاولة التحكم في عقول الناس من خلال منع بعض الكتب أو قمع الأفكار أمر غير واقعي، خصوصًا في ظل انتشار الإنترنت وسهولة الوصول إلى أي محتوى حول العالم.

وأضافت كنعان: "تصادم الأفكار قد يؤدي في بعض الأحيان إلى بروز فكرة على أخرى، وهذا جزء من التفاعل الثقافي الصحي. لذلك يجب أن تقام هذه المعارض بكامل قوتها وبريقها، مع توفير أدوات تنظيمية تساعد القارئ على الوصول إلى الكتب التي تهمه أكثر، بدلًا من حجب ما قد يعتبره البعض غير مناسب".

وأكدت أن الكتب المعروضة في بعض الدول تخضع لقوانين تنظيمية تحرص على تقديم المحتوى ضمن أطر تتناسب مع المجتمع، مشيرة إلى أن كتبهم يغلب عليها الطابع الثقافي، وبعضها يتطرق إلى الجوانب السياسية والدينية دون التطرق إلى مواضيع حساسة أو مثيرة للجدل.

من جانبه، صرّح معاوية الحامد من سوريا، صاحب دار نشر مشارك في المعرض، بأن "جميع الكتب تخضع للرقابة، ولم نسجل أي حالة قمع لفكرة أو منع لكتاب معين"، مضيفًا أن المعارض تهدف إلى نشر الوعي وزيادة أعداد القراء، لا إلى إثارة الجدل.

وشدد معاوية على أن "اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية"، مؤكدًا أن القارئ العربي اليوم أصبح أكثر وعيًا ونضجًا في انتقاء الكتب التي تهمه وتثري فكره، وأن تنوع الكتب المعروضة يعكس حرص المنظمين على تقديم محتوى يناسب مختلف الشرائح والفئات.

أما ليان، باحثة في الشأن الثقافي، فأشارت إلى أن المعارض الثقافية أصبحت اليوم ضرورة ملحة أكثر من كونها فعالية موسمية، لأنها تسهم في بناء مجتمعات أكثر وعيًا وتفتح أفق القرّاء للاطلاع على رؤى متعددة. وقالت: "الاطلاع على المختلف لا يعني تبنّيه، بل يساعد على فهم أوسع للعالم من حولنا".

من جهة أخرى، تحدّث خالد، شاب مهتم بالقراءة، عن تجربته قائلًا: "المعرض بالنسبة لي ليس فقط لشراء الكتب، بل للتفاعل مع دور النشر، والاستماع إلى ندوات تثري ثقافتي. لا أؤمن بمنع الكتب، بل أؤمن بأن القارئ هو من يختار ما يناسبه".

وأوضح أن المعارض تسعى لتقديم الآراء والأفكار كافة ضمن إطار يحترم الخصوصية الثقافية لكل مجتمع، وأن الهدف الأساسي منها هو توسيع دائرة المعرفة، وتحفيز الشباب على القراءة، والتفاعل مع القضايا الثقافية والاجتماعية بأسلوب حضاري ومنفتح.

ويجمع كثير من المثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي على أن إقامة هذه الفعاليات تساهم في تحريك عجلة الوعي، وتمنح الأفراد فرصة للاطلاع على تجارب فكرية متنوعة، مما يعزز من قدرتهم على التفكير النقدي وفهم الآخر، في زمن تتسع فيه الفجوات الثقافية والفكرية.

واخيرًا، تبقى المعارض الثقافية نافذة مشرعة نحو عالم أوسع من الفهم والتسامح، ومجالًا رحبًا لتبادل المعرفة، وتأكيدًا على أن اختلاف الأفكار لا يفسد للود قضية، بل هو أساس لتقدم المجتمعات وتطورها.

ضمن فعاليات معرض الكتاب.. ندوة "أفضل الطرق لرعاية وتعليم الأفراد ذوي اضطراب طيف التوحد"

■ أربيل / علي زيتو

عدسة: محمود رؤوف

انعقدت ندوة علمية بعنوان "أفضل الطرق لرعاية وتعليم الأفراد ذوي اضطراب طيف التوحد" على هامش معرض أربيل الدولي للكتاب بدورته السابعة عشرة.

نظمت الندوة جامعة صلاح الدين بالتعاون مع الجهات المشرفة على المعرض، ضمن سلسلة فعاليات تهدف إلى نشر الوعي حول قضايا اجتماعية وصحية، وتأكيد دور الجامعة في معالجة هذه القضايا عبر الخبرات الأكاديمية. حضر الندوة جمهور متنوع من الأساتذة والمتخصصين والتربويين وأهالي الأطفال ذوي التوحد، مما أثار نقاشا ثريًا حول سبل تحسين جودة حياة هذه الفئة وتعليمها. وقد تطرق المتحدثون الثلاثة الدكتورة بيريفان عبد الله محمد سعيد، والدكتور سيروان ولي علي، والدكتورة كوثر محمد شاكر إلى جوانب مختلفة من الرعاية والتربية الخاصة بذوي اضطراب التوحد مع عرض لأبرز الأفكار والتوصيات المبنية على البحث العلمي.

تناولت الدكتورة بيريفان (أكاديمية) النظرة الشمولية للتعامل مع اضطراب التوحد، مبتدئة بعرض عام للتوحد والتحديات التي يواجهها الأطفال المصابون وأسرهم، وموضحة أن الأطفال غالباً ما يعانون من صعوبات في التكيف مع التغيير ونقص في المهارات الاجتماعية. ثم انتقلت إلى استعراض أفضل الممارسات التعليمية؛ مشيرة إلى أهمية توفير بيئة تعليمية منظمة تدعم احتياجات الطفل، مع التركيز على نموذج برامج تهيئ بيئة صفية ملائمة وتضمن استمرارية الرعاية عبر تدريب الوالدين. كما أبرزت دور الأنشطة الحركية واللعب في جذب انتباه الطفل وتشجيعه على التعلم بطرق ممتعة وتحفيزية.

وتطرق الدكتور سيروان (أكاديمي) إلى البعد البحثي والمؤسسي لرعاية وتعليم ذوي التوحد، موضحًا وجود نقص في الإحصاءات الدقيقة لعلاج هذه الحالة، مما يحول دون وضع خطط ستراتيجية شاملة. دعا إلى إجراء دراسات منهجية على المستوى الوطني لجمع البيانات، كما شدد على ضرورة تبني ستراتيجية وطنية موحّدة تتضمن دليلًا لإرشاد تشخيص وعلاج التوحد يستند إلى معطيات علمية حديثة. كما أوصى بتوحيد بروتوكولات التدخل العلاجي والتربوي في المراكز والمدارس، وإنشاء مركز نموذجي متكامل يقدم خدمات التشخيص المبكر والتأهيل الأكاديمي والمهني تحت إشراف فريق متعدد التخصصات.

ويدورها قدمت الدكتورة كوثر (أكاديمية) كلمة تركز على الجانب التطبيقي والعلاجي، مؤكدة أن كل طفل توحدي حالة فريدة تتطلب برامج تربوية وعلاجية مفصلة.

وركزت على فعالية المنهجيات الحديثة في تفكيك المهارات إلى خطوات صغيرة مع تعزيز السلوكيات الإيجابية بشكل تدريجي. كما أكدت على أهمية ترتيب أولويات المشكلات السلوكية وتطبيق ستراتيجيات التعزيز الإيجابي، إلى جانب تدريب الأسرة على تبني نفس الأساليب في المنزل لضمان استمرارية التقدم العلاجي.

واختتمت الندوة بتوجيه رسالة شاملة تفيد بأن تحسين واقع رعاية وتعليم ذوي اضطراب طيف التوحد يتطلب جهدًا مشتركًا من المؤسسات الحكومية والأهلية، وتضافر المعارف العلمية والخبرات التربوية. وأكد المتحدثون على ضرورة نشر الوعي المجتمعي وتطوير برامج التشخيص والتدخل المبكر، ومراجعة المناهج التعليمية وتدريب المعلمين، وإنشاء مراكز تأهيل متخصصة معتمدة على معايير علمية، وكذلك دعم الأسر وتمكينهم من خلال برامج إرشادية وتدريبية. بهذه الرؤية التكامليّة، اختتمت أعمال الندوة وسط تفاعل مثمر ومشاركات تثري الحوار حول سبل الرعاية والتعليم الأمثل لهذه الفئة.

حين تصافح الطفولة الحروف: رياض الأطفال في معرض أربيل للكتاب

■ أربيل / جنان السراي

عدسة: محمود رؤوف

في إحدى زوايا معرض أربيل الدولي للكتاب، بعيداً عن صخب المنصات وحفلات التواقيع وحوارات النخب الثقافية، كانت هناك ضحكات خفيفة، خطوات صغيرة، وعيون واسعة تلتهم الكتب برسوماتها الزاهية. المشهد بدا مختلفاً تماماً: طاولات ملونة، وسائد أرضية، كتب مصورة، وأطفال يرتدون المرايل المدرسية يتنقلون بين الأركان بفضول لا يشبه إلا الطفولة.

هنا، كان الموعد مع "روضة رونا" وغيرها من رياض الأطفال التي اختارت أن تصطحب طلابها الصغار في رحلة خاصة إلى المعرض. ليس فقط لتقريبهم من الكتاب، بل لجعل القراءة تجربة حيّة، تُلامس أيديهم وتُزرع في وجدانهم وهم بعد في مقتبل الحروف.

طيبة، معلمة في روضة رونا، جلست بالقرب من أطفالها وهي تساعد أحدهم على تقليب صفحات كتاب عن الحيوانات. بعينين تلمعان بحماس، قالت خلال حديثها لـ(ملحق المدى): "أردنا أن نربط الطفل بالكتاب من دون أن يشعر أنه واجب مدرسي. الكتاب هنا يصبح لعبة، مغامرة، قصة تُروى بين الأصدقاء. وجود الأطفال في المعرض خطوة صغيرة لكنها تحمل أثراً طويل الأمد، فنحن نزرع اليوم بذرة حب القراءة".

في ركن مخصص لكتب الأطفال، كانت الطفلة إيلين، ترتدي قبعة صفراء وتحمل بيدها كتاباً عن الطيور. حين سألناها عن زيارتها، ضحكت وقالت بثقة: "أنا استمتعت جداً! شفت كتب حلوة، واشتريت كتاب فيه بطة صغيرة تطير". كلماتها جاءت بسيطة، لكنها كانت أبلغ ما يمكن أن يُقال عن أثر هذه الزيارة.

المعرض، الذي عادةً ما يرتبط في الأذهان بالكبار، بدا هذا العام أكثر انفتاحا على الأطفال. من تنظيم الفعاليات التفاعلية، إلى تخصيص مساحات للقراءة الجماعية والرسم، لم يكن حضور الصغار مجرد صورة رمزية. بل كان جزءاً من رؤية تسعى لإعادة بناء علاقة الجيل الجديد مع الورق، في زمن تهيمن عليه الشاشات.

آمنة، بائعة في "دار كلمات" تحدثت عن هذا التفاعل قائلة: "نلاحظ أن الأطفال ينجذبون بقوة للكتب ذات الرسوم التعليمية التفاعلية، التي تربط بين المعلومة والصورة، وتُحفز الطفل على التفاعل مع المحتوى. لم يعد الطفل يتقبل الكتب التقليدية بسهولة، بل يحتاج إلى كتاب يُحادثه ويثير فضوله. ونحن نعمل على تطوير هذا النوع من الكتب، لتكون جزءاً من تجربته البصرية والذهنية".

بعض دور النشر بدأت تتنبه فعلاً لهذا الحضور، فطورت محتواها بما يتناسب مع هذا الجيل، وأضافت عناصر تفاعلية للكتب مثل الصوتيات، الألغاز، والرسومات ثلاثية الأبعاد. المعلمة طيبة كانت تشرح لأطفالها كيف يعمل كتاب إلكتروني صغير، ثم قالت لهم: "هذا كتاب ذكي! لكن مهما تطور، يبقى الكتاب الورقي له سحره، صح؟" فهزّ الأطفال رؤوسهم موافقين، رغم أنهم ربما لم يفهموا تمامًا ما تعنيه، لكنهم شعروا بالحماسة.

اللافت أيضاً، هو تفاعل الأهالي. بعضهم جاء خصيصاً ليصطحب أطفاله للمعرض، كجزء من "رحلة عائلية للقراءة". تحدثنا إلى أم شابة كانت تمسك يد ابنها وتساعده على اختيار كتابه الأول، فقالت: "ابني عمره خمس سنوات، واليوم اشترى أول كتاب من اختياره. أردت أن يرتبط بفكرة أن القراءة متعة، وليست مفروضة".

الروضة لم تكتفِ بالزيارة فقط، بل أعدّت برنامجاً مصغراً للأطفال داخل المعرض، شمل رسماً حراً عن القصص التي قرأوها، ونشاطات تحاكي مضامين بعض الكتب. طيبة تقول إنهم سيعودون إلى المدرسة ويحكون ما عاشوه لأقرانهم، ليبدأ حديث صغير بين الأطفال عن الكتب. "وهكذا تبدأ العدوى الجميلة"، أضافت بابتسامة.

حين يسأل أحدهم: ما الذي يجنيه طفل في عمر الرابعة أو الخامسة من زيارة معرض كتاب؟ فإن الجواب لا يُقاس بالكمّ، بل بالنوع. طفل يرى الكتاب خارج صفّه، في مكان عام يحتفي به، سيُكوِّن صورة مختلفة عن القراءة. طفل يشتري كتاباً بنفسه، سيشعر أنه جزء من عالم الكبار، وأن له صوتاً ورأياً.

الطفلة إيلين عادت في نهاية الجولة لتجلس أرضاً وتقلّب كتابها الجديد. لم تكن تعرف أن هذا الكتاب قد يكون بداية رحلة طويلة من الاكتشافات. وربما، بعد سنوات، ستقف هي ذاتها هنا، كزائرة راشدة تتذكر يومها الأول في المعرض حين صافحت الطفولة الحروف لأول مرة.

بهكذا مبادرات، يتحول معرض أربيل الدولي للكتاب إلى أكثر من مجرد سوق ثقافي. يصبح مساحة تربية، وتجربة عمر، وبداية علاقة دافئة بين الأطفال والكتاب. لأن القراءة، كما يقولون، لا تبدأ من المدرسة فقط، بل من لحظة دهشة أولى، يشاهد فيها الطفل غلاف كتاب ويشعر برغبة عارمة في أن يعرف ما الذي يُخبئه خلف تلك الصفحات.